الشعر النسوي في الجزائر الرؤية والتشكيل
- دراسة في نماذج مختارة –

ط. د. دليلة كعوان أ.د. سعيد بوسقطة
جامعة عنابة

الملخص.

من خلال هذا المقال سنحاول تقديم لمحة قصيرة عن أهم ما ميز الشعر النسوي الجزائري، من خلال الحديث عن الرؤى المختلفة التي تبنتها شاعرات الجزائر على اختلاف أنواعها، باعتبار أن هذه الرؤى هي التي أخرجت المرأة الجزائرية من قوقعة الدونية والانغلاق على الذات، وسيكون لنا أيضا حديث عن البنية والتشكيل الفني في أشعارهن من خلال دراسة اللغة والأسلوب بالإضافة إلى التشكيل الخارجي للقصيدة وخاصة فيما يتعلق بالقصيدة النثرية التي رسمت ملمحا جديدا للإبداع النسوي الجزائري، أما عن القصائد المدروسة فهي نماذج مختارة لبعض أبرز الشاعرات الجزائريات عبر مراحل مختلفة وبحسب النقاط المدروسة في البحث لأن ما يهمنا هنا هو البحث في المميزات الفنية والموضوعاتية التي تحكم القصيدة النسوية في الجزائر.

Résumé

Dans cet article, nous allons faire une petite aperçue sur les principales de la poésie féministe algérienne, en abordant les différentes visions adoptées par les femmes poètes algériennes, toutes catégories confondues. Ces visions qui ont aidé la femme algérienne à restituer sa valeur et regagner sa liberté. Egalement, nous allons aborder l'aspect structural et artistique de leurs poèmes en y analysant la langue, le style ainsi que l'image du poème, surtout ce que concerne le poème en prose qui adonne une nouvelle allure à la créativité féministe. Quant aux poèmes étudiés il s'agit de quelques modèles sélectionnés parmi les poèmes d'un certains nombre de femmes poètes algériennes, tirés selon leurs époques et selon les points soulevés dans l'article, car ce qui nous importe plus ici, C'est l'étude portée sur les spécificités artistiques et thématiques du poème féministe en Algérie.

توطئة

إنّ المتتبّع للحركة الأدبية في الجزائر، يلاحظ قلة مساهمة المرأة الجزائرية في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها، وذلك نظرا للظروف التي كان عليها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، فلاحظنا بذلك تأخر ظهور الحركة الأدبية النسوية فقد عاشت المرأة حصارا وانغلاقا فرضه الاستعمار من جهة والعادات والتقاليد من جهة أخرى.

بالرغم من ذلك فقد كان لبروز الحركة النسوية في المشرق العربي الأثر الكبير على حياة المرأة الجزائرية في مختلف المجالات خاصة الثقافية منها فكانت على إثره الولادة العسيرة للأدب النسوي في الجزائر. وبما أنّ حديثنا يتمحور حول الشعر النسوي الجزائري، فيمكن أن نؤرخ للبداية الفعلية لظهور الشعر النسوي منتصف الستينيات حيث "بدأنا نطالع البواكير الأولى التي يحق لنا أن نؤسس بها لبدايات التأنيث في القصيدة الجزائرية والتي بدأت تحتفي بأسماء نسوية تزرع نصوصها في الخارطة الشعرية"[1]، فكانت البذرة الأولى مع

مبروكة بوساحة باعتبارها أول أديبة كتبت باللغة العربية من خلال ديوانها "براعم" الذي صدر سنة 1969، وبعدها برزت أحلام مستغانمي بديوانيها"على مرفأ الأيام" 1973، ثمّ ديوان "الكتابة في لحظة عري" 1976.
وهناك أديبة أخرى يمكن اعتبارها من الرائدات اللواتي خضن في مجال الكتابة الشعرية وهي زوليخة السّعودي والتي عُرفت كذلك قاصة وكاتبة مسرح وناقدة. لتتوالى بعد ذلك الإبداعات النسوية الشعرية نتيجة تكوين المجلات خاصة مجلة "الجزائرية" التي احتضنت إبداع الكثير من الشاعرات الجزائريات، فنشرت زينب الأعوج ديوانها "يا أنت من منّا يكره الشمس" بداية الثمانينيات، أمّا ربيعة جلطي فنشرت أولى قصائدها سنة 1975 قبل أن تطبع ديوانها "تضاريس لوجه غير باريسي" عام 1983.
وبداية من الثمانينيات بدأ النضج الفكري والوعي الثقافي عند المرأة الجزائرية لتجتاح الساحة الأدبية بأعمال مختلفة، وساهمت في ذلك المجلات والجرائد الوطنية والعربية، بالإضافة إلى احتكاكهنّ بثقافات أخرى، فحققت بذلك المرأة الجزائرية مكاسب كثيرة أهمّها ولوج عالم الجامعة، الصحافة والتأليف خاصة الشعري منه.
وبهذه الانطلاقة أدركت المبدعة الجزائرية والشاعرة خاصة وجودها المستقل داخل العالم الذكوري فحمّلت أشعارها رؤىً مختلفة ومواضيع متعّددة، هذا إذا اعتبرنا أنّ الشعر النسوي الجزائري قد مرّ بمراحل مختلفة انطلاقا من مرحلة الستينيات ثمّ مرحلة السبعينيات والثمانينيات لتأتي بعدها مرحلة الشعر الحديث، وفي ظلّ كلّ هذا التطوّر نتساءل:
كيف تجسّدت رؤية الشاعرة الجزائرية للحياة بجوانبها المختلفة؟ وما مدى تمكّنها من معالجة هذه الرؤى والقضايا ضمن كتاباتها الشعرية، والتي حاولت من خلالها أن تبني قصائد ذات تجربة راقية وتشكيل فنيّ محكم؟ وما أهمّ ما ميّز هذا التشكيل الفنّي؟

I - المرأة والرؤية الشعرية:

قبل الحديث عن هذه النقطة تجدر الإشارة إلى أنّ النماذج الشعرية المختارة لم تكن مرتبطة بمرحلة شعرية محدّدة بقدر ما كانت مبنيّة على زوايا الرؤية المختلفة لدى شاعرة معيّنة.
إنّ المتصفح لكتابات المرأة الجزائرية خاصة الشعرية منها يلاحظ أنّها تناولت قضايا ومواضيع متنوّعة ولا تختلف كثيرا عن المواضيع التي يتناولها الرجل، غير أنّ للمرأة في هذا رؤية أنثوية حاولت من خلالها إبراز دور المرأة الجزائرية في الحياة بجوانبها المختلفة منذ بداية تأنيثها للخطاب.

1/ الرؤية الذاتية:

ليس غريبا أن تحترف الشاعرة الجزائرية هذا المضمار الذاتي، فالمرأة دائما الأسرع في الاستجابة للتأثيرات المختلفة التي تحرّك مشاعرها وتحفّزها على إطلاق العنان لأناملها للبوح عن تلك الذاتيات وحينها "تصير الذات الحاضرة موضوعا في الكتابة وتنتقل المرأة من موضوع إلى ذات"[2]، فتحاول الشاعرة أن تختزل في أشعارها تلك الأنثى الباحثة عن إثبات الذات داخل عالم يسيّره المجتمع الذكوري، فتُحمّل كلماتها دلالات ذاتيّة تحتفي بأناقة العبارة المؤنّثة، تقول رجاء الصدّيق في قصيدتها (من مساءات الغواية)[3]:

أنا أنثى أخلق عشقي
وأطفئ صمت الشموع في الوقت العصيب

أرشف فنّ الحكايا
وأغسل وجهي الرّاحل في الكلمات!
وأطلق جسدي زغرودة
تصدح في فضاء مرمري

فذاتيتها الأنثوية هي التي حفزّت أحاسيسها لتفصح بهذه الكلمات الشعرية المنثورة عن بوح عميق ممتدّا في أعماقها تحاول من خلاله إثبات أنّوثتها التي طالما أرادت الإفراج عنها من سجن مجتمع متسلّط ينبذها، فراحت تخلق الأحاسيس المرهفة العميقة الغائرة في امتداد أنثويّ ينسكب بأناقة أسلوبية، كما أنّ الحبّ وتداعياته من أبرز مناحي الشكوى هذه الأخيرة التي تبثّ في الذات الأنثى الإحساس بالظلم وفقدان الوفاء، فيصير" الضعف والقهر وقلّة الحيلة أسباب تدفع الشاعرة إلى شكاوي لاهبة مبكيّة وبخاصة حين يكون مسبّبها ذا قرابة وصلة"[4]، ونرى مثل هذا بالخصوص عند شاعراتنا من العصر الحديث، فالشاعرة زهرة خفيف تسلك هذا المسلك في كثير من مضامينها ممّا يجعلنا نتساءل حول مصدر الرؤية الأنثوية عندها هل مردّها أنوثتها البحتة؟ أم هي صفة تجتمع عند معظم الشاعرات الجزائريات؟ فلنتأمّل هذا المضمون من قصيدة(شكوى ضدّ رجل)[5]، حيث تقول:

أشكوك للإله
أشكوك للرحمن
كيف استطعت يا رجل
أن تهجر الجنان

وتوّاصل شكواها على طول القصيدة

أشكوك للسلطان
أشكوك للإمام

نلتمس هنا ضعف هذه الأنثى المجروحة الذات فهي ترى في هذا الرجل التسلّط والظلم فراحت تبثّ شكواها للإله والحاكم والسلطان، وظلّت تبوح عن هذه الشكوى وفق رؤية أنثويّة ذاتية شديدة الحساسية، فتلقي بهذا التأثير على الحالة النفسية للقارئ، وقد نجد هذا الطابع كذلك عند نظيرها الرجل لكن دائما نلمس أنّ هناك فرق يميّز بينهما "وان كان من اختلاف فيمكن تتبّعه في بعض تفاصيل الرؤية"[6]، ولعّ ابرز مثال على ذلك أنّنا لا نجد في أشعار الرجل كثرة الشكوى وبث الأحزان وغيرها من الأحاسيس التي قد تجعله ضعيفا خاصة في نظر المرأة في حين أنّنا لا نكاد نجد ديوانا نسويا يخلو من تلك التجارب الذاتية فنجد مثلا خالدية جاب اللّه في ديوانها (للحزن ملائكة تحرسه) أنّ معظم القصائد تغلب عليها الرؤية الوجدانية الذاتية، وخاصة التي تقترن بدلالات الحيرة والحزن والقلق، تقول في قصيدة (شقيّة)[7]:

وحدي أنا
أبكي وتبكي رفقتي هذه الدّنى...
وحدي أنا أجتاز عمرا من بقاياي

لكن هذا الأمر يمكن أن يكون في بعض الأحيان سلبيا لأنّه قد يؤثّر على مكانة المرأة خاصة أمام المجتمع الذكوري، ألّا أنّنا نرجع دائما ونقول أنّ" طبيعة المرأة هي التي تجعلها فريسة لصراع نفسيّ عميق في اهتمامها بذاتها"[8]، وتريد الشاعرة من ذلك أن تعمّق التأثير على المتلقي من جهة وأن تبرز الأنا الذاتية التي تعاني الحزن والأسى من جهة أخرى. والرؤية الذاتية في الشعر النسوي لا يمكن اختزالها فقط في هذه العناصر، بل تصنعها كلّ مشاهد الذات الشاعرة من حبّ وتأمّل واغتراب وغيرها من الأحاسيس التي يمكن أن تؤثّر في القارئ فيتفاعل معها على طول النص الشعري.

2/ الرؤية الاجتماعية:

لا شكّ أنّ كلّ شاعر يجب أن يكون على صلة دائمة بمجتمعه، فيدرك قضاياه ويستبين مطالبه وتوجّهاته، وهكذا فإنّه يكوّن رؤيته الاجتماعية لينفصل بذلك عن الاتجاه الذاتي ويندمج في مجتمعه وقضاياه "تلك هي الرسالة التي يحسن بالشاعر أن يجعلها من ضمن اهتماماته"[9]، والشاعرة الجزائرية لم تكن بعيدة عن هذا المضمار فلم تبق غارقة في ذاتها، بل تناولت ضمن أشعارها قضايا وهموم مجتمعها لتجسد بذلك رؤيتها الاجتماعية هذه الأخيرة الممثلة في شعرها الاجتماعي والوطني، وعلاقة الشاعرة الجزائرية بمجتمعها نلمسها في كلّ المراحل الشعرية أي منذ بداية تأنيث الخطاب في الجزائر، ولعلّ أبرز ما تميز تلك الرؤية هو الافتخار بالانتماء الوطني، وهنا نصل إلى امرأة المسافات نادية نواصر التي بكت لهموم وطنها وفرحت لفرحه، تقول في قصيدة (صحو لي وآخر للوطن)[10] من ديوان (أشياء الأنثى الأخرى):

هي معادلتي التي أكتبها
على مساحات قلبي...
أعلّقها على حدودك...
وصحو لي أيّها العزيز ،
وآخر لك...
وإليك معادلتي:
ن+ وطن = حبّ حدّ النخاع!

فالوطن حسب رؤيتها هو معنى الوجود، إنّها تعشقه حدّ النخاع، وغير بعيد عن الوطن نجد التغني بالمناسبات الوطنية والاحتفاء بالشهداء والأبطال الذين صنعوا مجد الجزائر، تبرز دور المرأة الشاعرة في الاهتمام بقضايا مجتمعها، كما أنّ التوعية والنصح من أهم ما يميّز الرؤية الاجتماعية عند الشاعرة الجزائرية، فقدّمت نصوصا تدعو فيها إلى التحاور، التعايش والتسامح،تقول زهرة خفيف في قصيدتها(مسامرة)[11]، وهي عبارة عن حوار بين شخصيتين هما عمرو وخالد:

عمرو:

يا أخي فلنتحاور نتدابر أو نتشاور
بالتفاهم والحوار يمكننا أن نتسامر
تعالى فلنتصالح نتعايش، بل نتسامح

نحن أخوان حقّا بالــمودة نتناصـــــح

نجد هنا الشاعرة قد وُفّقت في طرحها لهذه القضايا الاجتماعية من خلال انغماسها في المجتمع فتعيش بين أفراده، وتبثّ فيهم روح المسامحة عن طريق الدعوة إلى التشاور والحوار. ومن زوايا المجتمع الأخرى التي توجّهت إليها الشاعرة الجزائرية الاهتمام بالطفل وحمايته من التشتت والضياع والانحراف، فتحاول من خلال قصائدها أن ترسل رسالة توعوية الآباء والأمهات بل حتى للأطفال أنفسهم لتزرع فيهم الأخلاق الرفيعة والقيم النبيلة، ومن أبرز من تناولت هذا الموضوع الشاعرة (سكينة بلعابد) التي لقّبها يوسف وغليسي بـشاعرة الأطفال فيقول:"لقد كان شعر الأطفال مجالها الحيوي الأثير الذي تكاد" تستأثر به وحدها بين الشاعرات في تاريخ الشعر الجزائري"[12]، كما نجد نادية نواصر قد قدّمت ديوانا كاملا للأطفال بعنوان(لهالة يغنّي الصباح)، فكانت كلّ قصائده محمّلة بدلالات التوعية وزرع القيم والأخلاق، إذ تقول في قصيدة(أخلاق هالة)[13]:

هالة التي حدثتكم
يا رفقتي الصغار
عن حسنها ونبلها
عن طهرها
عن حبّها للخير والسلام
في البدء عند الأكل تقول: بسم اللّه
تأكل من قدّامها
من غير أن تلطّخ هندامها
وفي الختام تشكر وتحمد الإله
ترتّب هندامها تهذّب كلامها

وليست هالة إلا طفلة صغيرة تعيش في بيت الشاعرة، فحمّلت اسمها رسائل مفتوحة نقّلتها للأطفال لتزرع فيهم هذه القيم والأخلاق، فهي ترى فيهم أطفال اليوم وشباب المستقبل الذي يبني المجتمع على الأسس الصحيحة.

3/الرؤية الإنسانية:

نركّز هنا عن أهمّ منحى موضوعي يندرج ضمن هته الرؤية وهو القضايا القومية، فإن شغلت الجزائريين الشعراء وحرّكت أقلامهم، فإنّها من جهة أخرى قد كانت محطّ اهتمام العديد من الشاعرات الجزائريات، خاصة اللّواتي تمحورت الكثير من نصوصهنّ الشعرية حول القضايا المختلفة التي يمرّ بها الوطن الإنسان العربيين فرأينا الشاعرة الجزائرية كغيرها من الشاعرات العربيات"لا تفرق بين وطنها وانتمائها التاريخي الأوسع المتمثل في قوميّتها بانتسابها إلى واقع حضاريّ لا يعرف إلّا اللغة والعقيدة والماضي والمصير المشترك"[14]، وتعتبر (مبروكة بوساحة) من أوائل الشاعرات في الجزائر تناولا لهذا الموضوع، حيث دافعت عن فلسطين ورأت فيها بلدها الثاني فحاولت من خلال بعض نصوصها الشعرية أن تزرع هذا الإحساس في قلوب أفراد المجتمع الجزائري فتقول:

يا فلسطين يا بلادي يا فلسطين الحبيبة
إنّ أيـــام التـــلاقي أصبحت جدّ قريبة[15]

وغير بعيد عن هذه القضية نجد شاعرة العصر الحديث زهرة خفيف قد زارت معتقل غوانتانامو وصوّرت لنا تلك المعاناة التي يعيشها الإنسان خاصة المسلمين، الذين تعرّضوا للاعتقال والتعذيب نتيجة إشهارهم للإسلام، فنراها تقول في قصيدة(غوانتانامو)[16]:

اعتقلوا غصبا وقهرا
في كهوف
السجن
ناموا
يكفي أن تشهر دينك
مسلم أنا في حياتي
لي أخلاقي وشرعي
لي كياني، لي ذاتي
سوف تُستدعى قريبا
لتزور
غوانتانامو

كأنّ الشاعرة عاشت مع هؤلاء المعتقلين وتدرك تماما تلك المعاناة التي عايشوها هناك في المعتقل، وتتعجّب من انعدام الإنسانية في قلوب هؤلاء المتجبّرين الذين عاثوا في الأرض فسادا وظلما، وعلى هذا الدرب سارت الكثير من الشاعرات الجزائريات فحاولن رصد التحوّلات الاجتماعية والسياسية التي مرّت وتمرّ بها البلاد العربية، وترى نادية نواصر في استشهاد الطفل الفلسطيني (محمّد الدّرة) رمزا للطفولة العربية المدفونة، وترى في القدس موطن العرب، إذ تقول في قصيدة (إهداء إلى روح الطفل الفلسطيني الشهيد)[17]:

وصاح (محمّد الدرة) على،
جدار الموت وحده..!
محمّد مات وحيدا،

وتواصل في القصيدة نفسها:

فالقدس..
قدسي..
قدسنا..
قدس العرب..

فالقدس ليست لفلسطين وحدها بل هي قدس العرب جميعا، فالشاعرة تبعث برسالة على لسان الطفل الشهيد تدعوا فيها العرب إلى التكتل والتوحّد من أجل أن تتحرّر (أولى القبلتين) من أغلال الكيان الصهيوني

المحتل، وجاء تفاعل الشاعرة الجزائرية مع هذه القضايا القومية العربية نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر، فهي تدرك تماما تلك المعاناة التي يعيشها أيّ شعب تحت وطأة الاحتلال، لكن أنّى تتحقق هذه الأحلام"بينما الأمّة العربية راقدة في سبات الخلافات تنتظر يد الغيب ترفع عنها الجور وتدفع عنها الموت البطيء"[18]، هكذا إذا تفاعلت الشاعرة الجزائرية مع الرؤى والقضايا المختلفة انطلاقا من رؤيتها لذاتها ثمّ مجتمعها لتتفاعل في الأخير مع هموم الأمّة العربية الاجتماعية منها والقومية، فعالجتها ضمن نصوص شعرية عبّرت فيها عن رؤاها وآرائها ومواقفها بكلّ حريّة ومصداقية.

II - التشكيل الفنّي في الشعر النسوي الجزائري:

نظرا لتقيّدنا بحجم البحث سوف نتطرّق في هذا العنصر إلى أهم ما يميّز الإبداع الشعري النسوي في الجزائر من تشكيل فنّي أرادت من خلاله الشاعرة أن تبدع نصوصا شعرية ذات بناء فنّي محكم وذلك من خلال اللغة والأسلوب وحتّى التشكيل الخارجي للقصيدة .

قد تجتمع كتابات الرجل والمرأة في عديد النقاط كالرؤية الشعرية والمواضيع، لكن في الأخير يمكن تمييز النص إن كان من إبداع رجل أو امرأة فاللغة هي التي تصنع ذاك التميز، وعندما نقول اللغة لا نقصد بها الكلمات فحسب بل تجتمع فيها كلّ المكوّنات الأدبية كالأسلوب والصورة بأنواعها، فللمرأة لغتها الخاصة في بعث الرسالة للقارئ، والدارس للشعر النسوي في الجزائر خاصة في بدايات تأنيث الخطاب يلاحظ استخدامها المتكرّر لدلالات الرفض والتحدي، لأنّها هي في حدّ ذاتها كانت في دائرة الرفض المجتمعي، فكان هذا التحدي رفضا لموقف المجتمع ونظرته الدونية للمرأة من جهة، وتحدّ لتلك الأوضاع السائدة من العادات والتقاليد من جهة أخرى، فكانت اللغة حينها" وسيلة للإيحاء وليست أداة لنقل معان محدّدة"[19].

وأبرز مثال على ذلك هو اشتراك الكثير من الشاعرات في استخدام ألفاظا معيّنة للإفراج عن تلك المكبوتات والمشاعر التي تحمل دائما دلالات المرأة المجروحة، لكن الأهمّ من ذلك أن تؤدّي تلك اللغة لوظيفتها الشعرية وهذا ما لاحظناه خاصة عند شاعرات ما بعد الثمانينيات، وإذا عدنا إلى الشعر النسوي الجزائري في تلك المرحلة وما بعدها نجد الشاعرة تحتفي كثيرا بالصورة الشعرية نتيجة تأثرهنّ بشعر المرأة العربية، فالصورة تعبّر عن الحالة النفسية لكلّ شاعرة، فأصبحت الصورة مبدءًا تلتزم به الشاعرة كظاهرة فنيّة وجمالية، وتعتبر نادية نواصر من أبرز الشاعرات الجزائريات احتفاءًا بالصورة بمختلف أنواعها مند البدرة الأولى في كتاباتها الشعرية تقول في قصيدة (ابنة القصيدة الضائعة)[20] من ديوان (راهبة في ديرها الحزين):

وأهرب من طوق ذاتي

أجوب المدينة

وأجلس كالمتسوّل في حافة الأزمنة

عل الكتفين سلة شعري

وأصرخ هل تشترون قصيدة؟!

تحاول الشاعرة من خلال هذه الصور المختلفة أن تحيي مشاعر النفوس قصد التأثير في المتلقي، بالإضافة إلى دورها الخاص في لناء شعرية النص، كم جاء ديوانها الأخير (لبونة صهد القلب) على غرار باقي

الدواوين حافلا بالصور على أنواعها المختلفة وأبرزها الرمز بأشكاله، فنقرأ مثلا في قصيدة (أنت هنا...منذ ربع قرن!)[21]:

جابهت في طريقي إليك...
زمن مجنون ليلى،
وقيس
ابن الملوّح
وروميو وقصّة
زليخة وسيّدنا يوسف
المرأة التاريخية

أمّا الرمز المؤنّث فقد خُصصت لدراسته أبحاثا كاملة نظرا لاعتماد المرأة عليه في جل كتاباتها الشعرية، فهذه الظاهرة شاعت عند الكثير من الشاعرات العربيات عامة والجزائريات خاصة، وقد يكون من الواضح أنّ"ما يحتويه سيكون مخصّصا للمرأة في مختلف أطوارها ودرجات وعيها وإدراكها وحالات حياتها"[22]، فقد تكون هذه الرموز ذات دلالات دينية، تاريخية أو ثقافية، وما توظيف هذه الأسماء المؤنثة إلّا إبرازًا لدور المرأة ومكانتها في المجتمع، كما أنّ الحالة النفسية للمرأة لا تأتي من العاطفة الحب فحسب بل قد تكون تلك الرموز دالة على إحساس آخر غير الحب ومن أشهر الرموز المؤنّثة التي وظّفتها أغلب الشاعرات الجزائريات نجد رمز (مريم) عند نادية نواصر التي كتبت قصيدة بعنوان (أحزان مريم)[23] في ديوانها (أوجاع) إذ تقول:

أنت لي أولى الشجيرات
في غاب بونة
ملح البداية
أصل الحكاية
فشدّي بجدع النخيل
غداة المخاض العسير
سيسّاقط الصبر من غيمة الصبر
لا تجزعي
كلي..واشربي..
واحلمي بالصباح الجميل

فالشاعرة وظفت هذا الرمز وهي تنتظر معجزة من ربّها لكي تنفتح أمامها باب الحياة من جديد، وتزيل عن نفسها كلّ تلك المخاوف لتحيا في الأمن والسلام" لقد اتّخذت الآية الكريمة في نفسها مسارا خاصا، وتحدّدت أمامه ببعد شعوريّ يرتبط بأزمتها الراهنة"[24]، وكتبت الشاعرة زهرة خفيف قصيدة بعنوان (مريم)[25] تقول فيها:

مريم...

هفيفة،،رهيفة!!

رقيقة الإحساس يافعة!!

فيها شعرية وشعور

جريئة ،،، عاصية.. طائعة

وبما أنّ كلّ هذه الصفات وأكثر تجتمع في السيدة مريم-عليها السلام- فإنّ الشاعرة حاولت أن تسقط هذه الصفات على نفسها أو على كلّ امرأة جزائرية لتحمي نفسها من هذا المجتمع الذكوري الذي يحاول أن يفرض عليها قوانين خارج نطاقها. والمعنى نفسه نلمسه عند خالدية جاب اللّه في قصيدتها (خلف أسوار الذهاب)[26] حيث تقول:

وحشة الظن كأفعى

هاجت اليوم برأسي...التهمت

ما قد تبقّى من مدانا

يسقط الوجه..فدرني مريما

سلّمت الآن الوصايا

يظلّ رمز (مريم) دائما مقترنا بدلالات الحزن والأسى إذ تعيش المرأة (مريم) في غرفة مظلمة منزوية على نفسها في الحراب، والرمز المؤنث لم ينحصر في اسم مريم فحسب بل تعدّاه إلى أسماء مختلفة مثل(شهرزاد)،(أسماء)، (بلقيس)، (زوليخة)،(حوّاء)...وغيرها من الأسماء التي تحمل دلالات الأنثى المجروحة والضعيفة من جهة وقد تدلّ أحيانا على المرأة القوية التي تصدّ قوانين التهميش والنظرة الدونية لها من جهة أخرى، يظلّ الرمز الأنثوي دائما يكشف عن الحالة النفسية للشاعرة.

الكتابة بلغة الجسد:

عندما نتحدّث عن الجسد في الشعر النسوي الجزائري، نجد أنّ الشعر الحديث يفرض نفسه بقوّة، حيث برز فيه الصوت النسائي بصورة مكثّفة، وهذا ما نتج عنه تحرّر المرأة من السلطة الذكورية وتحرّرت معه المرأة من تحت عباءة الرجولة وصارت الأنثى تكتب بلغة أكثر صراحة وشفافية، لدرجة أنّها في بعض الأحيان تحرج الرجل، وقد كان للغة الجسد ودلالاتها دورا كبيرا في إبراز مكانة المرأة وأهميّتها في المجتمع، ومن جهة أخرى قد توحي تلك اللغة على ضعف وانكسار الذات الأنثوية فتبحث من خلال ذلك النص عن سبيل ترمم به تلك الانكسارات بلغة الجسد نفسها"حيث يزداد الجسد ثقلا، ويتحوّل إلى جثّة دلالية ضخة"[27]، ومن أبرز الشواعر اعتمادا لتلك اللغة نذكر - مثالا لا حصرا-الشاعرة مسعودة لعريط التي لقبه الناقد يوسف وغليسي بـ شاعرة الجسد من خلال ديوانها (مرايا الجسد)، فمن خلال هذا العنوان يمكن أن نقرأ الهاجس الجسدي في تلك النصوص إذ جعلت من مرايا جسدها لغة تعبّر بها عن ذاتها الأنثوية المتكسّرة تقول في قصيدة (انبجاس):

في غمرة الألم ينبجس الجسد

يمنح الروح تنبجس الروح

وفي غمرة الصبوة والسقوط

نرتقي إلى القصيدة...[28]

وتقول في قصيدة أخرى بعنوان(جسدي):

وأعلن أنّ هذا اسمي العربي

جسدي ونهري

وشهوة روحي

وانّي نخلة وحيدة

نلاحظ أنّ الشاعرة وظفت لغة الجسد لتحتمي من جراحها وأحزانها، فجعلت جسدها قربانا لأنوثتها المقموعة في مجتمع ينبذها فحاولت أن تتحرّر منه، أن يمكن اعتباره ردّا وإغراءًا للرجل الذي ظلّ يرفضها خاصة على الساحة الأدبية، ومن جهة أخرى قد يكون هذا الأمر سلبيا إذ قد يبين ضعف المرأة في إثبات وجودها الذاتي أي ألم تجد الشاعرة غير ذلك الأسلوب للتعبير عن دورها ومكانتها في المجتمع؟ لكن رغم ذلك نجد أغلب الشاعرات لا تتوانى في اجتياز هذا المسلك ونلمح فيه دلالاته دائما انكسار الأنثى ولتعوّض هذه الانكسارات تلجأ إلى توظيف تلك اللغة، تقول نادية نواصر في قصيدة (اعترافات جارية في بلاط الرّشيد)[29]:

إذا ثرت يا سيّدي

فمن يزرع الشمس في شفتيّ..

ومن يرسل البحر، في الخصر حيّا..

ومن يرسم البد، مستديرا..

على الصدر يوما

ومن يتغزّل بلون العيون

لمن أتزيّن عند المساء

لمن سأقول إنّي أنثى..؟

والملاحظ في هذه المقطوعة أن الشاعرة تبحث عن نصفها الثاني فتحاول أن تغريه بهذا الأسلوب لتمنعه من الرحيل، وزهرة خفيف هي الأخرى رأت في لغة الجسد متنفّسا لها في بعض المحطات ووجدته سبيلا للدفاع ذاتها كأنثى فنراها تقول في قصيدة (أنوثة)[30]:

متى؟!كيف؟!لماذا؟!وهل؟!

أسئلة تراود أنوثة تكتمل

تضاريس جسدها...

تمتدّ خاماتها على درجات البيانو

يبدو أن أنوثة المرأة لا تكتمل ضمن نصّ الشعري إلا إذا كانت مدعومة بلغة قوّية قادرة على تحريك المشاعر الرجولية خاصة، هي إذن لغة الجسد وأسلوب التأنيث الذي كان للمرأة السند الجوهري في إثبات

ذاتها الأنثوية فلم تر أيّ شاعرة سبيلا للاستغناء عنه ولم يجد الرجل بدّا إلا الخضوع لقوانين تلك اللغة العميقة.

III-القصيدة النثرية في الشعر النسوي الجزائري:

إنّ السمات المذكورة وغير المذكورة في التشكيل الفني للقصيدة النسوية الجزائرية لم تكتف بها الشاعرة في إشباع همّها الشعوري، فراحت تكتب القصيدة النثرية لتسبح فيها على الحدود الواسعة وتسمح لنفسها بالحريّة في النسج اللّغوي والتحرك من غير ضوابط محدّدة، وقد ركبت هذا الموج الكثير من الشاعرات الجزائريات خاصة من العصر الحديث وقد عدّها الدكتور يوسف وغليسي في أكثر من 65 شاعرة نثرية وهذا "يكون دليلا قاطعا على أنّ القصيدة النثرية هي جنس شعري لطيف بامتياز"[31]، ومن أشهر الشاعرات في هذا المضمار نذكر: نادية نواصر، زهرة بلعاليا، سكينة بلعابد، خالدية جاب اللّه، مبروكة بوساحة... والقائمة طويلة لأن هذه الظاهرة تستهويها كلّ شاعرة ترغب في التجديد على مستوى البناء الخارجي للقصيدة من جهة، وأن تسمح لنفسها على الكتابة بأكثر حريّة على مستوى النص الشعري فيسمح لها ذلك بالبوح أكثر عن مشاعرها المكبوتة.

لكن الأمر السلبي أن تتحول القصيدة النثرية عند بعضهنّ إلى استرسال في الكلام العادي الذي قد يعكس ضعف الإبداع عند شاعرة ما، إلّا أنّ هناك الكثير منهنّ ممّن ترغب في تحويل القصيدة إلى نصّ حكائيّ جميل تميّزه العبارة الموجزة المكثّفة فتجعل النص في صورته العضوية الكاملة إذ تعتمد على تعتمد في ذلك على جماليات السرد دون أن تنسى أنّها تكتب نصّا شعريّا، ولم تكتف الشاعرة الجزائرية بكتابة القصيدة النثرية بل هناك من راحت تضع لها بعض الشروط والقوانين أي أنّها تحاول أن توضّح لأيّ شاعرة تريد أن تسلك هذا المضمار كيف تتعامل مع نصّ شعريّ إذا ما أرادت أن تنثره وهذا ما رأيناه عند (ربيعة جلطي) في بحثها الموسوم بـ: "جماليات القصيدة النثرية"

IV- نتائج الدراسة:

ممّا تقدم ذكره في هذا البحث الموجز جدّا حول الرؤية والتشكيل الفنّي في الشعر النسوي الجزائري يمكن أن نخرج بأهمّ النتائج مفادها أنّ الشاعرة الجزائرية تمكّنت بإبداعها أن تشكّل منعرجا حاسما في الساحة الأدبية الجزائرية والعربية حيث استطاعت أن تحمّل أشعارها روح التمرّد وتكسير الطابو والكتابة بلغة الجسد دونما خوف وتردد، كما كانت كتابتها للقصيدة النثرية دليلا على مواكبة الشاعرة الجزائرية للحداثة الشعرية.

قائمة المراجع والمصادر:

[1]- يوسف وغليسي، خطاب التأنيث (دراسة في الشعر النسوي الجزائري)، ط2، مطبعة الأهرام، قسنطينة، 2008،ص81.

[2]- نورة الجرموني، تطور متخيل الرواية النسائية العربية، الراوي، ع22، السعودية، ص93.

[3]- رجاء الصدّيق، الظلال الراقصة، الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص73.

[1]- فوّاز بنعبد العزيز اللّعبون، شعر المرأة السعودية المعاصر، دراسة في الرؤية والبنية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2009، ص64.

[5]- زهرة خفيف، في البدء كانت حواء، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص75.

[6]- فوّاز بنعبد العزيز اللّعبون، مرجع سابق، ص66.

[7]- خالدية جاب اللّه، للحزن ملائكة تحرسه، منشورات أهل القلم، الجزائر، 2008، ص57.

[8]- فواز بنعبد العزيز اللعبون، شعر المرأة السعودية المعاصر، ص 139.

[9]- المرجع السابق، ص 211.

[10]- نادية نواصر، أشياء الأنثى الأخرى، منشورات فرع عنابة لاتحاد الكتاب الجزائريين، ط1،عنابة، 2006.

[11]-زهرة خفيف، مملكة بلقيس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2014، ص74، 75.

[12]- يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، قسنطينة، 2008،ص 228.

[13]- نادية نواصر، لهالة يغنّي الصباح، أوراق للنشر والتوزيع، سوق أهراس،الجزائر، 2012، ص 81.

[14]-ناصر معماش، الشعر النسوي العربي في الجزائر، دراسة في بنية الخطاب، آذار للطباعة والنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، 2001، ص 135.

[15]-مبروكة بوساحة، براعم، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص19-20.

[16]-زهرة خفيف، مرجع سابق، ،ص116.

[17]-نادية نواصر، المشي في محرابك، موفم للنشر، الجزائر، ص84.

[18]-ناصر معماش، الشعر النسوي العربي في الجزائر، ص 142.

[19]-عبد اللّه الغدامي، تشريح النص(مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص 100.

[20]-نادية نواصر، راهبة في ديرها الحزين، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 98.

[21]-نادية نواصر، لبونة صهد القلب، موفم للنشر، الجزائر، 2014،ص23.

[22]-باسمة درمش، عتبات النص، مجلّة علامات، العدد61، جدّة، 2007، ص 62.

[23]-نادية نواصر، أوجاع، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2007، ص101، 102.

[24]-شفيقة طلحي، جماليات التعبير في الشعر النسوي الجزائري، شعر نادية نواصر-أنموذجا-، رسالة ماجيستير، جامعة 20-أوت-1955، سكيكدة، 2014، ص109.

[25]-زهرة خفيف، الرذاذ والرماد، منشورات دار الأوطان، الجزائر، 2016، ص 101.

[26]-خالدية جاب اللّه، للحزن ملائكة تحرسه، ص18.

[27]-يوسف وغليسي، خطاب التأنيث، ص301.

[28]-مسعودة لعريط، مرايا الجسد، دار هومة، الجزائر، 2004، ص25.

[29]-نادية نواصر، حديث زوليخة، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص65.

[30]-زهرة خفيف، في البدء كانت حوّاء، مرجع سابق،،ص39.

[31]-زهرة خفيف، في البدء كانت حوّاء، مرجع سابق، ص39.